كتاب

التنبيه والايقاظ والثبات

لنفي اللزوم العقلي بين الادراك والحياة

تأليف خاتمة المحققين. وقدوة أهل الرسوخ واليقين.
الشريف العلامة المحقق الفهامة أبي العلاء
سيدي ادريس بن احمد الحسني الوزاني
أدام الله النفع به بمنه
آمين

﴿ طبع بالمطبعة الجديدة بطالعة فاس ﴾
(سنة ١٣٤٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذى أحيا رسوم الشريعة بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وأعطى كل واحد من مخلوقاته نصيبه من الادراك والفهم. فنطق بحمده وتسبيحه بلسان حاله ومقاله. وخضع لربوبية خالقه وسلطان جلاله. وأفضل الصلاة والسلام. على من سبح فى كفه الطعام. وعلى آله وأصحابه الاعلام. ما تعاقبت الليالى والايام. ﴿ وبعد ﴾ فيقول العبد الفقير الجانى. ادريس بن احمد الوزانى. هذا تقييد نفيس فى الكلام على شرطية الحياة للادراك (أجبت) به بعض الاخوان من الطلبة لا نجب حين (سألنى) عن ذلك لحسن نيته وصفو طويته مستسمحا منى ذا ورم (سميته بالتنبيه والايقاظ والثبات. لنفى اللزوم العقلى بين الادراك والحياة) جعله الله خالصا لوجهه الكريم. وسترنا بستره العميم. بجاه سيد السادات. وعين الرحمة المهدات. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه (اعلم) ان الامام السنوسى رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته عرف الحياة تبعا لغيره من المتكلمين بانها صفة تصحح لمن قامت به أن يتصف بالادراك قال فى شرح المقدمات بمعنى أنها شرط عقلى له يلزم من عدمها عدم الادراك ولا يلزم من وجودها وجود الادراك ولا عدمه اه قال سيدى

عيسى السكتانى فى حواشيه على شرح الصغرى وكما هى شرط فى الادراك هى شرط فى غيره من بقية المعانى الواجبة له تعالى اذ المراد بالادراك العلم وهو لازم للقدرة والارادة وما هو شرط فى اللازم شرط فى الملزوم اه واستشكل الشرطية العقلية غير واحد لما ثبت فى الصحيح من ادراك كثير من الجمادات كحنين الجذع وبكائه لفراق النبي صلى الله عليه وسلم وتسبيح الطعام والحصا وغير ذلك كما ياتى وقال تعالى وان من شىء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقال تعالى الم تر أن الله يسبح له من فى السماوات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه قال المفسرون انها تسبح بلسان المقال لا بلسان الحال فقط لان الذى بلسان الحال مفقوه معلوم واجاب من قال انها تسبح بلسان حالها فقط كالزمخشرى ومن تبعه بان هذا خطاب للمشركين الذين لم يفقهوها اصلا أو نزلوا منزلة من لم يفقهها لعدم جريهم على مقتضى ذلك اه لكن الصواب الذى تدل عليه الآثار الآتية هو الاول وممن استشكل الشرطية الشريف العلامة سيدى محمد بن عبد العزيز الطاهري الجوطي وكتب فى ذلك سؤالا قال فيه اى محال يلزم على قيام الادراك بالجمادات التى لم تقم بها الحياة اذ يظهر ان العقل اذا خلى ونفسه لا يحيل ذلك وارسله الى العلامة سيدى محمد بن احمد المسناوى والى العلامة سيدى محمد بن عبد الرحمان بن زكرى الفاسى صاحب شرح النصيحة وطلب منهما الجواب واستحسن كل واحد منهما كلامه بل قال ابن زكرى فى صدر جوابه

الذى أجابه به طالما نظرنا فى حل هذا الاشكال ورمنا الاستدلال عليه فلم يستقم بواحد من الاشكال ومقتضى ما ذكروه أنه لا يمكن ان يخلق الله تعالى الادراك فى محل من غير ان يخلق فيه الحياة كما لا يمكن خلق العرض بدون جوهر وبالعكس وهو محتاج الى الاثبات وما تمسكوا به من التقسيم وانا اذا سبرنا صفات الحى لم نجد ما يصحح قبوله للادراك الا كونه حياً نقول عليه لا نسلم ان قبوله له يتوقف على مصحح من صفاته نعم يتوقف قبول الحادث له على تاهيل الخالق اياه لذلك وما يسند اليه من الدوران وان الادراك يوجد بوجود الحياة ويفقد بفقدها انما يفيد الظن وهو لا يكفى هنا ثم نقول الحياة والادراك كيفيتان متغايرتان مختلفتان فى المفهوم يتعقل كل واحد منهما بدون الاخر كالعلم والبياض فمن أين جاء اللزوم نعم لو كان احدهما معتبراً فى مفهوم الاخر كالحيوان والانسان أو توقفت عقلية احدهما على عقلية الاخر كالاضافيات مثل الابوة والبنوة وكالمعنوية مع المعانى او لزم من ثبوت احدهما دون الاخر محال كتخصيص الارادة شيئاً بالوجود من غير ان تتعلق القدرة بايجاده فان فيه عدم وقوع المراد وهو محال لظهر اللزوم وأطال بكثرة الابحاث والاسئلة والاجوبة على عادته رحمه الله تعالى ويأتى بعض ذلك وكذا استشكلها أبو علي اليوسى فى حاشيته على الكبرى الا انه اورد الاشكال فى مبحث السمع والبصر وهما نوعان من مطلق الادراك فقال على قول شارحها ودليل ان كل حى قابل للاتصاف بهذه الصفات(١)

(١) يعنى السمع والبصر والكلام اه مؤلف

واضدادها امتناع اتصاف الموتى بها وصحة اتصاف الاحياء بها ما نصه اى دليل على ذلك لا يقال الاستقراء لانا نقول لا يكفى فى المطالب العلمية على ان غاية ما ينتجه على تقدير تمامه عدم الوقوع لا الامتناع المطلوب اذ من الممكن ماينسلب دائما (فان قيل) شوهد الاتصاف بهامع الحياة وعدمه مع عدمها وذلك كاف (قلنا) غايته الدوران وهو لا يفيد العلم ثم قال فتامل فى هذا المقام اه ونقله المسناوى فى جوابه (قلت) ونحو هذا البحث لبعض حواشي الكبرى ممن تقدم على أبى علي اليوسي فانه كتب على قوله وصحة اتصاف الاحياء بها ما نصه أخذ هذا فى الاستدلال فيه شيء لانه ان اريد من المخلوقين المشاهدين كان استقراء ولا يفيد القطع وان ادعيت الضرورة فعلى تقدير تسليمها اغنت عن اعتبار دوران الحياة مع صحة الاتصاف وجوداً وعدماً وان لم تسلم فالتتبع لا يفيد وان اريد كل حى فهو الدعوى اه ودعوى الضرورة غير مسلمة وان انفصل عنها الشيخ المسناوى فى جوابه معتمداً على قول ابن زكرى التلمسانى فى محصل المقاصد

وبالحياة صحة الصفات * لولا الحياة استوت الدوات
فيلزم اتصاف ميت بما * قد وصف الحى به معمما

وقرره بذلك شارحه أبوا العباس المنجور قال قوله معمما حال من ما أي على تقدير انتفاء الحياة يلزم ان تستوى الذوات فى الاوصاف وان لا يصح بينهما تفاوت فيصح ان يتصف الميت وسائر الجمادات بجميع ما

يتصف به الحي من قدرة وارادة وعلم وغير ذلك وهو باطل ضرورة اه نقله المسناوى فى جوابه ولم يات رحمه الله تعالى فى جوابه بمقنع لان حاصله ان شيخه ابا علي اليوسي استشكل ذلك ولم يجب عنه وغيره كابن زكرى التلمسانى وشارحه يجعل سندما ذكر من الشرطية العقلية الضرورة وبحث ابن زكرى الفاسى فيما ذكره صاحب محصل المقاصد فقال هو على تقدير تسليمه انما ينتج شرطيتها عقلا بالنسبة الى الميت لا بالنسبة الى الجماد لعدم قيام المنافى اعنى الموت به على انا لا نسلم ذلك حتى بالنسبة الى الميت فان الشيء وضده قد يقبلان شيئاً بحيث يجامع كلا منهما امكانا ولا يكون ملزوماً لواحد منهما حتى يلزم من ثبوته ثبوته فيجتمع المتنافيان بل قد يتفق أن يوجد (١) مع كل منهما ومع احدهما فقط وان اختص فى العادة بواحد منهما فاللزوم العادى غير مكتفى به وليس الكلام فيه اه وقال قبل هذا (فان قلت) قد صرح السعد فى شرح مقاصده بان استلزام الحياة للادراك ضرورى وح فلا يحتاج الى دليل (قلت) ان هذا لعجيب نحن لم نسلم كونه عقلياً ولم نظفر له بدليل فكيف نقول انه ضرورى وكلام السعد حجة لنا فانه قال بعد ان استند فى السمع والبصر الى النقل ما نصه وقد يستدل على الحياة بانه عالم قدير لما مر وكل عالم قدير حى بالضرورة وعلى السمع والبصر بان كل حى يصح كونه سميعاً بصيراً وكل ما يصح للواجب من الكمالات يثبت بالفعل لبراءته عن أن يكون له ذلك بالقوة والامكان وعلى الكل فانها صفات كمال قطعاً

(١) اى ذلك الشيء

والخلو عنها فى حق من يصح اتصافه بها نقص وهو محال عليه تعالى
ثم قال ولا بد من بيان ان الحياة فى الغائب تقتضى صحة السمع
والبصر وغاية متشبثهم فى ذلك على ما ذكره امام الحرمين
من طريق السبر والتقسيم ان الجماد لا يتصف بقبول السمع
والبصر الا اذا كان حيا ولم تقم به آفة ثم اذا سبرنا صفات الحى
لم نجد مايصحح قبوله للسمع والبصر سوى كونه حياً ولزم القضاء بذلك
فى حق الله تعالى وأوضح من هذا ما اشار اليه الغزالى انه لا خفاء ان المتصف
بهذه الصفات اكمل ممن لم يتصف بها فلو لم يتصف البارى تعالى بها لزم
أن يكون غيره اكمل منه وهو باطل ثم قال والغرض من تكثير وجوه
الاستدلال زيادة التوثيق لان الاذهان متفاوتة فى القبول والاذعان
وربما يحصل للبعض منها اطمئنان ببعض الوجوه دون بعض أو باجتماع
الكل او عدة منها مع ما فى كل واحد منها من مجال المناقشة اه فانظر
كيف اعتمد فى اثبات الحياة كالبصر والسمع على النقل واشار الى ضعف
الدليل العقلى بقوله وقد يستدل الخ واشار الى ما يرد عليه بقوله مع ما
فى كل واحد الخ وتفريق السنوسى بين الحياة حيث اثبتها بالدليل العقلى
وبين السمع والبصر حيث اعتمد فى اثباتهما على السمع مبنى على شرطية
الحياة عقلا للعلم والارادة والقدرة الثابتة بالبراهين العقلية ووجود الملزوم
بدون لازمه محال وقد علمت ما فيه وقد ظهر لك من هذا أنه لا يلزم من
عدم شرطيتها عقلا هدم قاعدة ولا نقض اصل وأن اثباتها لله لا يتوقف

على الشرطية اه كلام ابن زكرى بخ (قلت) فمن استدل على الاستلزام بالضرورة اغتر بظاهر كلام شرح المقاصد ولم ينظر الى تضعيفه للدليل العقلي والاشارة الى مايردعليه ولم يذكر السعد فى متن المقاصد لفظ الضرورة وانما ذكره فى الشرح ونصه فى المتن المبحث الخامس فى أنه تعالى حى سميع بصير شهدت بذلك الكتب الالهية واجمعت عليه الانبياء بل جمهور العقلاء ودل العلم والقدرة على الحياة والحياة على صحة السمع والبصر فيثبتان بالفعل ولاخفاء أن الخلو عن هذه الصفات فى حق من يصح اتصافه بها نقيصة وقصور كمال وباطل أن يتسم الواجب بالنقصان وبكونه اقل كمال من الانسان فهذه بجملتها تفيد القطع وان كان فى البعض للجدال مجال اه ومما يضعف دعوى الضرورة ايضاً قول أبي علي اليوسى فى منهاج الخلاص من كلمة الاخلاص ما نصه واعلم ان هذا الفصل اعنى تسبيح الطعام والحصى ونحو ذلك من الجمادات وكذا العجماوات كل ذلك من مغارس الاوهام ومضامد الاحلام ومثار الخصام واللجاج والجدال والحجاج فقد يقوم راوى الاثار وناقل الاخبار من عوام(١) الفقهاء والمحدثين فيقول أن كل ذلك واقع على حقيقته من غير تفصيل ولا توقف على اعتبار ولا تعليل لوروده فى الخبر ويقوم ءاخر ممن يتعاطى علوم النظر وينوع الموجودات بالفصول أو يشترط للقوى البنية والمحل المخصوص فينكر ذلك ويقول أن اثبات الكلام للجمادات واثبات المعانى العقلية للعجماوات

«١» اى جميعهم و اكثرهم وهى طريقة السلف الصالح من حملهم ما ورد على ظاهره أن لم يحيله العقل فان كان محالا فوضوا الامر الى الله تعالى كما ياتى آخرا عن شارح الدليل اه مؤلف

سفسطة ونحن نذكر هنا اشارة موجزة ينحل بها ان شاء الله تعالى الاشكال بعد أن نرسم لك مسائل لابد من معرفتها (الاولى) الاجرام كلها عندنا متماثلة فى الماهية الجرمية وكل ما يعتبر لها بعد ذلك فهو عرض وارد عليها من حيث انها اجرام ومن ذلك وجود الحياة فيها والادراك أو النطق او نحو ذلك (الثانية) هذه الاعراض ونحوها كلها جائزة متعلقة للقدرة والارادة الربانية كالاجرام (الثالثة) يصح من الله تعالى فعل مالم تجر العادة بفعله كخلق الحياة فى حجر مثلا لان مصحح تعلق القدرة الامكان لا الاعتياد ومن هذا النوع كانت المعجزة والكرامة (الرابعة) الحياة والادراك ونحوهما من الاعراض لايشترط فيها بنية مخصوصة بل المشترط المحل فى الجملة لاستحالة قيام العرض بنفسه (الخامسة) الحياة شرط فى جميع الادراك فحيث لاحياة لاادراك لاستحالة (١) وجود المشروط بدون شرطه (اذا علمت) هذا فاعلم أن التسبيح المسند الى الحصى والطير ونحوهما ان اريد به الدلالة فلا اشكال وان اريد به النطق فان اريد بروز الصوت من غير علم ولا ادراك فلا اشكال ايضاً لان خلق الصوت فيه جائز كما يسمع من طنين الباب وخرير الماء مثلا وجائز أن يكون لفظاً مشتملا على الحروف لان كون الحرف من الحلق ليس بامر طبيعى وعقلى واجب وإنما هو أمر جعلى بمقتضى المشيئة ويجوز أن يكون ذلك فى الحيوان مع قدرة والهام ولا ينتهى الى المعانى الكلية التى هى خاصية العقل وأما ان اريد الكلام

«١» هذا مسلم في الشروط العقلية كما هو موضوع كلامه تبعا للمتكلمين لان الحياة عندهم شرط عقلى في الادراك ونحن نقول انه شرط عادي وح فلا استحالة في ذلك لان العادة قد تتخلف وقد تقدم من كلام ابن زكرى ما يوضح نفى الشرطية العقليه اه مؤلف

النفسانى فهذا لايكون للجماد مادام جماداً لتوقفه على الحياة وان اريد
مع ذلك العلم وادراك المعانى الكلية كالعلم بتنزيه الله تعالى عن كل نقيصة
واتصافه بكل كمال فهذا لايكون للجماد ولاللحيوان الاعجم لتوقفه على
العقل والاعجم لاعقل له ولذا لم يكلف نعم يجوز أن يخرق الله عادته فتخلق
الحياة فى شيء من الجمادات أو الحياة والعقل معا وكذا فى العجماوات فيقع
منه الادراك والكلام ويخرج فى تلك الحال عن كونه جمادا او اعجم ولا
نقول أن ذلك موجود فى كل جماد وفى كل زمان والابطل هذا القسم
من الموجودات كيف ولو كان كذلك لم يكن معجزة لنبى ولاكرامة
لولى لانه معتاد ح اه المراد منه ووجه الشاهد لنا هو اول كلامه وانما
لم نقتصر عليه لزيادة الفائدة وتعلق الغرض به لانه انفصل عن شرطية الحياة
للادراك مع أنه بحث فى ذلك فى حاشيته على الكبرى وكذلك فعل ابن
زكرى تبعاً للمتكلمين رحم الله الجميع ونفعنا بعلومهم وبركاتهم وطرق فى
كلام الجمادات والعجماوات احتمالات توسعاً ولبيان ما يشترط فيه الحياة
منها وما لايشترط والصواب أن المراد بتسبيحها وكلامها النطق بلسان
المقال زيادة على لسان الحال مع العلم وادراك بعض المعانى الكلية كتنزيه
الله عن كل نقيصة واتصافه بكل كمال كما تدل عليه الايات والاحاديث
الاتية وقوله ان هذا لايكون للجماد ولا للحيوان الاعجم لتوقفه على العقل
الخ نقول هى عاقلة عالمة فى وجهتها الى الله تعالى وانما هى جمادات وعجماوات
بالنسبة الينا ونقل ابو علي بنفسه عن أبى بكر ابن العربى انه قال لاخلاف

عند العلماء ان الحيوانات كلها لها افهام وعقول وقال الشافعي الحمام اعقل
الطير وفي ابن سلطان على الشفا ما نصه الصحيح من مذهب أهل السنة
والصريح من مشرب الصوفية أن الاشياء لها معرفة بوجودها كما يدل
عليه قوله تعالى وان منها لما يهبط من خشية الله وان لها السنا مسبحة
لخالقها ويفهمها جنسها ومن اراد الله ادراكه لذلك اه وقال الخازن عند
تفسير الاية المذكورة مذهب أهل السنة ان الله تعالى أودع في الجمادات
والحيوانات علماً وحكمة لايقف عليها غيره فلها صلاة وتسبيح وخشية
يدل عليه قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وقال تعالى والطير
صافات الاية فيجب على المرء الايمان به ويكل علمه الى الله تعالى اه واما
الكلام النفساني فان اريد به المنسوب الى النفس التي هي الروح أو الحياة
فهذا كما قال لايكون للجماد لعدم وجود المنسوب اليه وان اريد به الكلام
اللفظي الخفي عنا فهذا ثابت للجمادات قال القاضي في الشفا فاما اذا كانت
أي الحروف والاصوات عن الكلام النفسي فلابد من شرط الحياة اذ
لايوجد كلام النفس الا من حي خلافا للجبائي اه قال الشهاب في شرحها
وأما الكلام اللفظي فلا يشترط فيه ذلك اه وتقدم له بنفسه ان كون
الحرف من الحلق ليس بامر طبعي وعقلي واجب وانما هو أمر جعلي
واذا قلنا هذا في الجمادات فالعجماوات من باب اولى لوجود الحياة فيها
وقوله ولذلك لم يكلف نقول هو مكلف بمعرفة الله تعالى وطاعته وتسبيحه
وتقديسه والخضوع له وكذلك الجمادات فكل نوع من الموجودات

مكلف بما يناسبه عند خالقه وانقسامها الى عاقل وغيره ومكلف وغيره انما هو بالنسبة الينا وفى نظرنا وقوله نعم يجوز الخ هذا وان كان جائزاً لكن لا دليل عليه الا كون الحياة شرطاً فى الادراك وهو محل النزاع وقوله فيخرج أى ينتقل من حقيقته الجمادية أو الاعجمية الى حقيقة اخرى وهى الحيوانية فى الجماد أو الى حقيقة الحيوان الناطق فى الاعجم كما صرح به غيره ويأتى رده وتقدم أنه لا دليل عليه وقوله ولا نقول أن ذلك موجود فى كل جماد وفى كل زمان الخ أما الخروج من حقيقة الى حقيقة اخرى فلا نقول به وأما ادراكها وكلامها وتسبيحها فهو ثابت لجميعها فى كل وقت فاذا غفلت عن التسبيح وقعت فى محذور كما وردت به الاخبار اخرج أبو الشيخ فى العظمة وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الزرع يسبح واجره لصاحبه والثوب يسبح ويقول الوسخ أى الثوب الوسخ لصاحبه ان كنت مومناً فاغسلنى اذن اه أى لانه تنسد مسامه بالوسخ فينقطع تسبيحه كما يدل عليه ما روى عن المقدام بن معدى كرب ان الثوب يسبح ما دام جديداً فاذا وسخ ترك التسبيح وأن الثوب لينادى فى اول النهار اللهم اغفر لمن افنانى فى طاعتك واخرج ابن أبى شيبة والامام احمد فى الزهد وأبو الشيخ عن ميمون بن مهران عن ابى بكر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما صيد صيد ولا عضهت عضاه وقطعت وشيجة الا بقلة التسبيح اه والعضاه وزان كتاب من شجر الشوك كالطلح والعوشج والوشيجة عرق الشجرة والوشيج شجر الرماح وروى عن الحسن البصرى

هذه الآية فى الثوراة مقدار الف اية وإن من شيء الا يسبح بحمده يسبح له الجبال ويسبح له الشجر ويسبح له كذا ويسبح له كذا وكذا واخرج ابن المبارك وأبو الشيخ وغيرهما مرفوعا ان الجبل لينادى الجبل باسمه يافلان هل مر بك أحد اليوم ذكر الله تعلى فاذا قال نعم استبشر قال عون افيسمعن الزور اذا قيل ولا يسمعن الخير هن للخير اسمع وقرأ وقالوا اتخذ الرحمان ولداً الى قوله هداً وقد نقل أبو علي بنفسه نحو هذا عن عكرمة فهذه الاخبار تدل على ان ادراكها وتسبيحها وكلامها غريزة فيها لا يتوقف على شرط وانما هو بمحض قدرة الله وارادته ولا يتوقف ايضاً على كونه معجزة لنبي أو كرامة لولى وإنما المعجزة او الكرامة فى كشف ذلك للسامع كما ياتى عن سيدى عبد العزيز الدباغ (اذا علمت) هذا فلنرجع الى كلام ابن زكرى الذى وعدنا به فنقول قد حوم رحمه الله تعلى أول جوابه على نفى الشرطية العقلية وناضل على ذلك المناضلة الكلية . ولكن لما كان القول بها مشهور عند المتكلمين حتى كانه متفق عليه لم تسعه الا مساعدتهم لكن على كيفية اخرى فقال فى آخر جوابه فان قلت لقد تعاظم الخطب . وتفلل من شدة الضرب المهند العضب . لكن لم يجد العليل . لتجرع هذا الكاس من سبيل . فانك قد منعت الضرورة . وقطعت قناطير النظر التى كانت ممرورة فتعينت الطاعة والسمع . لما دل عليه السمع (١) فلما استروح الناظر الراحة رده الدور صفر الراحة . وما عالجته انفا . لم يحصل به البرء والشفا . لان المعجزة (٢) فعل وهو متوقف على الحياة بضرورة العقل وح فهذا داء

«١» الكتاب والسنة اه مؤلف (٢) هذا بيان الدور اه مؤلف

عضال يجب على القادر أن يتبرز لدفعه ويستعمل ما أمكن من النضال (قلت) مجال العقل رحب . ومرعى الفكر مملو خصب . وتناول الذهن من خزائن الذخائر بفضل الله ليس بصعب . فانظر كيف نصحح طريق العقل والنقل . ونبين ارتباط الفرع بالاصل (فنقول) ماتخيلته من ضرورة استلزام الفعل للحياة لك فيه عذر فانه مما تسرع الاذهان الى الانقياد اليه وقد قال أبو العز المقترح فى اسراره وقد ادعى بعض الاصحاب ان الفعل يدل على حياة الفاعل ضرورة من غير واسطة وفيه قلق (١) كما ترى قال الشريف زكرياء يريد أن بعض الاصحاب ادعى الضرورة فى موضع لايحصل الا بالدليل وقد خالفهم فى ذلك جم غفير من العقلاء وصاروا الى أن الافعال تصدر من الطبيعة ولاتدل على الحياة وكذلك من قال بالعلة وعند ذلك افتقرنا الى اقامة البرهان على الصانع المختار (فان قلت) حاصل هذا منع الاستلزام ضرورة والاقرار بثبوته نظراً فالتوقف باق (قلت) الباقى هو توقف الفعل على حياة الفاعل فى نفس الامر لا على العلم بها وعلى الثانى ينبنى الدور فنقول لانسلم توقف صحة الاستدلال بالسمع على العلم بثبوت الحياة وتوابعها (٢) للمرسل لان من شاهد الخارق وهو عالم بالتحدى أو بلغه ذلك بالتواتر جزم بصدق من ظهرت على يده فى كل مايبلغه عنه لانه مهما ثبتت الرسالة عنده وجب للمتصف بها الصدق والامانة والتبليغ سواء كان من ذكر عالماً باتصاف المرسل بتلك الصفات مستحضراً لذلك أم لا اهـ بخ ثم اشار الى تصحيح الدليل العقلى المثبت لشرطية الحياة فى الادراك

«١» هذا مما يرد القول بان استلزام الادارك للحياة ضرورى اهـ مؤلف «٢» وهى القدرة والارادة والعلم اهـ مؤلف

بقوله ثم نقول استلزام الارادة للحياة ضروري لان التوجه الى الشيء وقصده لا يتعقل من غير الحي والقدرة تقدم أنها تستلزمها نظراً والقدرة والارادة يستلزمان العلم بالفعل وهو لا يستلزمهما كذلك ولكن قبوله يستلزم قبولهما اذ لا يتصور فى نظر العقل عالم بالفعل أو بالقوة يستحيل فى حقه ان يريد أو يقدر لذاته واذا كان قبول العلم يستلزم قبولهما وقبولهما يستلزم الحياة اتضح برهان الاستلزام وثبت الدليل العقلى فراجع وجدانك واستقر كثيراً من افراد الحي واعرضها على عقلك وانظر هل يمكنه ان يحكم بصحة التوجه والقصد منها مع عدم الحياة فيها لتثبت عندك المقدمة الاولى فبها تتوصل لما بعدها واستلزام الادراك للحياة ح نظرى وبهذا يتبين ان ما ادرك من الجمادات خلقت فيها الحياة والله أعلم اه واقتصر (جس) فى شرح المرشد منه على بيان الدليل العقلى لكن قوله استلزام الارادة الخ وهو مراده بالمقدمة الاولى قد يقال انه من قبيل المسئلة المتنازع فيها لان التوجه الى الشيء وقصده الذى هو معنى ارادته لا يكون بدون ادراكه لانه تابع له وقد اشتهر عند المتكلمين ان تعلق الارادة تابع لتعلق العلم فى التعقل والعلم بالشيء هو ادراكه فكانه قال استلزام الادراك للحياة ضرورى وهو حرف النزاع عندنا وقد اعترضه ابن زكرى بنفسه كما مر والصواب أنه لا لزوم عقلى بينهما وانما اللزوم عادى يجوز تخلفه كما فى الجمادات وقوله فراجع وجدانك واستقر الخ هذا استدلال على المقدمة الاولى بدليل الاستقراء وتقدم أنه لا يكفى فى المطالب العلمية التى يطلب فيها القطع قال فى السلم

ولا يفيد القطع بالدليل * قياس الاستقراء والتمثيل

مع أنه تقدم له أن المقدمة الاولى ضرورية واذا كانت كذلك فلاحاجة للاستدلال عليها وقد تقدم قول بعض حواشي الكبرى فى اول التقييد انه ان ادعيت الضرورة فعلى تقدير تسليمها أغنت عن اعتبار دوران الحياة مع صحة الاتصاف بالسمع والبصر أى وهما نوعان من مطلق الادراك وجوداً وعدماً وان لم تسلم فالتتبع لا يفيد اهـ وح فالمقدمة الاولى ليست بمسلمة فكذلك القياس المبنى عليها وقوله وانظر هل يمكنك الخ نقول لا مانع من ذلك من جهة العقل وحده لانه ليس بمستحيل عقلا وعلى تقدير توقف العقل فى ذلك فبالنظر الى العادة والامور العادية قد تلتبس بالعقلية لكثرة التكرار وعدم التخلف غالباً سيما اذا كانت صورة التخلف خفية وليست بظاهرة لكل أحد كما فى مسئلتنا فيجوز أن يخلق الله تعلى التوجه والقصد الناشئين عن الادراك بدون حياة بل وقع ذلك كما فى حديث حنين الجذع وبكائه وقول النبي صلى الله عليه وسلم هذا بكى لما فقد من الذكر الى آخر الحديث وكذا مجيء الاشجار لدعوته وتسليمها عليه وشكاية البعير له وغير ذلك فجميع ذلك لا يكون الا مع قصد وتوجه ولا نسلم حلول الحياة فيها لعدم الدليل عليه وان كان جائزاً و قوله وبهذا يتبين أن ما أدرك الخ هذا جواب للمتكلمين الذين يجعلون الحياة شرطاً فى الادراك لانه أورد عليهم أنه قد وجد الادراك بدون حياة فى كثير من الجمادات كما فى الاحاديث

المتقدمة فاجابوا بان ذلك بعد خلق الحياة فيها وخروجها عن الجمادية وقد ردهذا الجواب ابن زكرى بنفسه فى جوابه قال (فان قلت) كما خلق الله فيها الادراك خلق فيها الحياة ويشير لذلك قول ابن العربى ان الادراك سار فى جميع الاجرام ولذلك ورد تسبيحها وتكليمها ولمعرفة الجبل وادراكه عظمة الله صار دكاً ولكن الله تعالى أخذ عن أبصار كثير من الناس فلم يدركوا تسبيحها فوصفوها بعدم الحياة وعدم العلم (قلت) هو محل النزاع على أنه ان جاء دليل على ذلك قلنا هو من الارتباط العادى وليس بلازم عقلى اه كلام ابن زكرى مع ذكر كلام أبى بكر ابن العربى بتمامه لانه شاهد لما قدمناه الا قوله فوصفوها بعدم الحياة فهو جار على طريقة المتكلمين (قلت) ويلزم على قول المتكلمين قلب الحقائق وهو محال وماأجيب به من أن الحقيقة الاولى وهى الجمادية ذهبت وخلفتها حقيقة اخرى وهى الحيوانية فى غاية البعد ولا دليل عليه وهو أبعد من القول بعدم بقاء العرض الذى قال به الاشعرى ومن تبعه وهى طريقة ضعيفة حتى قيل انها سفسطة دعاهم الى ذلك جعلهم علة احتياج الممكن الى الفاعل الحدوث فالزموا انتفاء الاحتياج بعد حدوثه فقالوا ان بقاء الجوهر مشروط ببقاء العرض وهو لا يبقى زمانين فالحاجة باقية ومن قال علة الاحتياج هى الامكان لم يحتج لذلك لان وصف الامكان باق انظر حواشى المحلى فكذلك من جعل الحياة شرطاً عقلياً فى الادراك أورد عليه ادراك الجمادات فاضطر الى القول بخلق الحياة فيها وان لم يقم عليه دليل

بل الذى تدل عليه الآثار وتقتضيه الاخبار وهو ظاهر قوله تعلى وان من شيء الا يسبح بحمده ان الادراك سار فيها دائماً كما تقدم عن ابن العربى وتسبيحها لا ينقطع فى غالب اوقاتها منذ خلقت وحـ فليس لها الا حقيقة واحدة وهى التى خلقها الله تعلى عليها أولا (اذاعلمت) هذا وان أقوال علماء الظاهر فى هذه المسئلة قد اختلفت وأفهامهم فى الكشف عن حقيقتها قد اضطربت . تعين الرجوع لما قاله فيها أهل الكشف ان وجدناه لان هذه المسئلة وهى حلول الحياة فى الجمادات من الامور المغيبة عنا ولم يرد عن الشارع فيها نص صريح وأهل الله ينظرون بنور الله وقد قال الامام السنوسى فى بعض أجوبته فى الرد على من أنكر قول بعض الصوفية ان سمعه تعالى وبصره يتعلقان بالمعدوم الممكن ما نصه الواجب التسليم لاولياء الله تعالى فيما خفى عنا علمه اذ لا يستوى من ينظر فى النور ومن ينظر فى الظلمات اه ونحن قد وجدنا والحمد لله من كلام بعض العارفين ما يزيل هذه الحيرة مع موافقته لظاهر الايات والاحاديث قال العلامة المحقق سيدى احمد بن مبارك ءاخر الباب الاول من الابريز ما نصه وسمعته رضى الله عنه يعنى شيخه سيدى عبد العزيز يقول فى أحاديث تسبيح الحصا وحنين الجذع ونحو ذلك ان ذلك هو كلامها وتسبيحها دائماً وانما سأل النبى صلى الله عليه وسلم ربه ان يزيل الحجاب عن الحاضرين حتى يسمعوا كلامها فقلت وهل فيها حياة وروح فقال لا ولكن المخلوقات كلها ناطقها وصامتها اذا سئلت عن خالقها قالت

بلسان فصيح الله هو الذى خلقنى فافتراق الموجودات الى ناطق وغيره وحيوان وغيره انما هو بالنسبة الى المخلوق وأما بالنسبة الى الخالق فالكل به عارف وله عابد فالجمادات لها وجهتان وجهة الى خالقها وهى فيها عالمة عابدة ووجهة الينا وهى فيها لا تعلم ولا تسمع ولا تنطق وهذه هى التى سال النبى صلى الله عليه وسلم ربه أن يرفعها عن الحاضرين حتى تظهر لهم الوجهة الاخرى وباعتبار هذه الوجهة قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ومن هذا المعنى اجابنى عن حكاية سيدنا داوود عليه السلام مع الضفضع لما استكثر داوود تسبيحه لانه شاهده يسبح طول عمره لا يفتر عنه فاستصغر داوود حالته هو التى استكثرها فقال رضى الله عنه ان داوود عليه السلام شاهد من الضفضع حالته فى وجهته الى الحق لان التسبيح فيها دائم وقال أيضاً ان للاوض علماً هى حاملة له وعارفة به وكذا لكل مخلوق من الجمادات فقلت له كيف تكون عاقلة عالمة وهى جماد فقال هى جماد فى أعيننا وأما بالنسبة اليه تعالى فهى به عارفة وما خلا مخلوق عن قوله الله ربى فهى سارية فى كل مخلوق وكذا الخضوع لخالقه والخوف منه ثم نقل عنه ان للجمادات لغات والسنا تليق بحالها قال وما ذكرنا فى حال الجمادات انما يعرفه رجل خرج عن عالم السماوات والارض وتباعد عنه حتى ينظره كالكرة بين يديه ثم ينظر اليه بالنظر القوى الذى لا اعرف اليوم من ينظر به الا ثلاثة من الناس فاذا نظر بذلك النظر رأى كل مخلوق من الجمادات إما ساجد

أو قائم منكس الرأس من خشية الله تعالى على هيئة الراكع وأول ما
يرى على تلك الهيئة الارض بنفسها وقال ايضاً ان الثور اذا رآ ثوراً
آخر تكلم معه فيما وقع له ذلك اليوم ويجيبه الاخر وفى كلامهما تقطيع
وتقدير بمنزلة الحروف والمخارج فى كلامنا ولكن ذلك محجوب عنا
وكذا سائر الحيوانات والاشجار والاحجار كما حجب عنها كلامنا بمخارجه
وحروفه وانما تسمع صياحاً وأصواتا ومن فتح الله بصيرته سمع كلامها ويفهم
معناه بالروح لانها تعرف المقاصد والاغراض قبل النطق بها اه بخ
وكلام هذا السيد الجليل هو عمدتنا فى حل هذا الاشكال مع الوقوف
مع ظواهر النصوص لانه ليس عندنا ما يمنع من حملها على ظاهرها
وهو وجود الادراك من غير حياة الا كون الحياة شرطاً عقلياً فى
الادراك وهو محل النزاع وما ذكرناه من أقوال علماء الظاهر انما هو
تاييد لكلامه لان كلام العارفين من أهل الكشف لابد أن يكون موافقا
لقول من أقوال علماء الظاهر وان كان ليس بمشهور عندهم كما أن اقوال
علماء الظاهر لا يكون جميعها مخالفاً لما فى نفس الامر الذى هو محط
نظر أهل الكشف وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تجتمع أمتى على ضلالة
ومما يؤيد كلام الشيخ ايضا قول أبى حيان فى بحره نسبة التسبيح
للسماوات والارض ومن فيهن من ملك وإنس وجن حمله بعضهم على
النطق بالتسبيح حقيقة وأن ما لا حياة له ولا نمو يحدث الله تعالى فيه نطقاً
وهذا هو ظاهر اللفظ ولذلك جاء ولكن لا تفقهون تسبيحهم اه وفى

شرح الكبرى لمؤلفها فى مبحث السمع والبصر مانصه ان مذهب اهل السنة انهما ادراكان لا يتوقفان الا على محل يقومان به واختصاص بعض الاعضاء فى حقنا انما هو باجراء عادة الله تعالى بخلق ذلك فيه وحجتهم أن قبول المحل للادراك نفسى له فلو اشترط فيه شرط لزم توقف الصفة النفسية على شرط وهو محال اه وقال ابن العربى فى رده على من انكر السؤال وعذاب القبر ان الادراك معنى من المعانى يخلقه الله تعالى لمن شاء وليس بمقتضى التعليل والطبع ولا بالايجاب الذاتى ولا بالاسباب والصفات كما هو مذهب الفلاسفة اه وأشار له السيوطى فى التثبيت بقوله

وكوننا اذا كشفنا الموتى * لم نر حساً منهم وصوتا
أجاب عنه المالكى المغربى * أعنى ابا بكر هو ابن العربى
بانما الادراك معنى يخلق * لمن يشاو من يشاء يوثق
وليس بالطبع ولا بالذات * ولا باسباب ولا صفات

اه ويوخذ من كلام سيدى عبد العزيز رضى الله عنه اموراً (منها) أن الحياة ليست شرطاً عقليا فى الادراك (١) بدليل تخلفها فى الجمادات مع اتصافها بالإدراك والشرط يلزم من عدمه العدم وهذا هو الحق فى هذه المسئلة فلا لزوم بينهما عقلا كما قرره ابن زكرى أول جوابه وبالغ فى الاحتجاج عليه ولو اقتصر عليه لاصاب الصواب (ومنها) أن الادراك

(١) ونحو هذا ما نقله الزرقانى على المواهب عن تقى الدين السبكى أن ملازمة الروح للحياة أمر عادى لا عقلى قال ذلك استدلالا على استمرار حياته صلى الله عليه وسلم فى قبره فانظره اه مؤلف

سار فى الجمادات دائما كما قاله أبوا بكر ابن العربى وتقدم ما يدل عليه (ومنها) ان تسبيحها دائم لا ينقطع فى غالب اوقاتها وكذا كلامها اذا أرادت أن تتكلم وكذا العجماوات وتقدم ما يدل على ذلك أيضاً ولا يتوقف ذلك على كونه معجزة لنبي أو كرامة لولى وانما المعجزة او الكرامة فى كشف ذلك للسامع (ومنها) أن لها السنا ولغات تناسب حالها (ومنها) انها فى وجهتها الى الله تعالى موصوفة بما يناسبها من العقل والمعرفة لخالقها والعبادة والخضوع له ونحو ذلك فلها حظ من التكليف العام قال سيدى المهدى فى شرح الدليل بعد ان ذكر الخلاف فى ارساله صلى الله عليه وسلم الى الملائكة ما نصه أما بعثه الى كافة الانس والجن فمحل وفاق وزاد البارزى والى الحيوانات والجمادات والحجر والشجر قال الهيتمى ومعنى كونه مرسلا اليها أنه يركب فيها ادراك لتومن به وتخضع وان من شيء الا يسبح بحمده أي حقيقة وقال بارساله الى الجمادات جماعه واختاره بعض المحققين لتصريح خبر مسلم بذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم وارسلت الى الخلق كافة اه وهذا جار على أن كل موجود معه حصة من العلم هى طريقه المسبحة باستلزام وجوده لها وهى المشار اليها بقوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه اه كلام سيدى المهدي

(ونختم هذه الورقات بفائدة يستنبط منها ما يصلح ان يجمع به بين قول المتكلمين وغيرهم من الفقهاء والمحدثين والصوفية) قال فى شرح الدليل عند قول الجزولى وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد صلى علي

الا خرجت الصلاة مسرعة من فيه الى قوله ويخلق ملك له سبعون الف جناح الحديث مانصه وهو مما يدل على جوهرية المعانى فى حقيقتها او تجسمها فيما بعد وقيامها بانفسها على كلا الامرين والمتكلمون يابون ذلك ويحيلونه ويؤولونه وغيرهم من أهل الحديث والتصوف يجيز ذلك ويبقيه على ظاهره قال العارف ابن أبى جمرة فى الجمع بين ذلك أن حقيقة أعيان المخلوقات التى ليس للحواس اليها ادراك ولا من النبوة بها أخبار ان الاخبار عن حقيقتها غير محقق وانما هو على غلبة ظن لان للعقل حدا يقف عنده ولا يتعداه فهذا وما أشبهه منهما لانهم تكلموا على ما ظهر من الاعراض الصادرة عن هذه الجواهر التى ذكرها الشارع فى الحديث ولم يكن للعقل قدرة الى أن يصل الى هذه الحقيقة التى أخبر بها عليه السلام فيكون الجمع بينهما أن يقال ما قاله المتكلمون حق لانه الصادر عن الجواهر وهو الذى يدرك بالعقل . والحقيقة ما ذكره عليه السلام ولهذا نظائر كثيرة بين المتكلمين وآثار النبوة ويقع الجمع بينهما على هذا الاسلوب وما أشبهه اهـ فيقال فى مسئلتنا أن ماقاله المتكلمون انما هو بحسب غلبة الظن واللزوم العادى قد يلتبس بالعقلى بسبب غلبة الارتباط سيما اذا نظرنا الى أنواع الحيوان بالخصوص فان العقل لا يكاد يحكم بانفكاك الادراك عن الحياة وهذا هو الذى غر ابن زكرى رحمه الله تعالى فى ءاخر جوابه حيث قال فراجع وجدانك واستقر افراد الحى الخ وما دلت عليه ظواهر الايات والاحاديث وقال به المحدثون

والصوفية هو الواقع فى نفس الامر قد علم كل اناس مشربهم .هذا ما ظهرلى فى وجه الجمع ولعل هناك ما هوأظهر منه وفضل الله تعالى ليس بمحجر ولا مقصور على أحد والعلم كله لله تعالى والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم عدد ما فى علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله

قال مؤلف هذا الكتاب .ضاعف الله له الاجر والثواب . قال السعد فى شرح المقاصد اتفق أهل الحق على أن الله تعلى يعيد الى الميت نوع حياة فى القبر قدر مايتألم ويتلذذ ويشهد لذلك الكتاب والاخبار والآثار لكن توقفوا في أنه هل يعاد الروح اليه أم لا وما يتوهم من امتناع الحياة بدون روح ممنوع وإنما ذلك فى الحياة الكاملة التى تكون معها القدرة والافعال الاختيارية وقد اتفقوا على أن الله تعلى لم يخلق فى الميت القدرة والافعال الاختيارية فلهذا لا تعرف حياته كمن أصابته سكتة ويشكل هذا بجوابه لمنكر ونكير اه وقال السنوسى فى شرح الكبرى اعلم أنه لا مانع فى العقل من رد الحياة الى بعض أجزائه ويجعل له من العقل والفهم ما يفهم به ويجيب ويدركه الملكان منه وان لم نسمع نحن كلامهم وكذا يجوز أن يسمع كلام من سلم عليه وكل ذلك جائز وقد ورد السمع به فوجب اعتقاد ظاهره ولا حاجة الى تكلف تاويله لانه تعلى على كل شيء قدير انتهى